

جامعة طرابلس

كلية التربية- جنزور

بحث بعنوان :-

موقع القيم في التعليم الجامعي

مقدمة البحث :-

الأستاذة : نادية عبد المجيد الرقيعي

عضو هيئة تدريس بجامعة طرابلس

محاضر مساعد

كلية التربية/ جنزور

موقع القيم في التعليم الجامعي

في معنى القيم

انطلاقاً من موقع القيم كنسق معياري ناظم للحياة الاجتماعية، لا يمكن تخطيه أو الاستغناء عنه، فالمنظومة الاخلاقية في أي مجتمع هي هذا النسق في كليته ، فمن خلال ما يكتسبه كل فرد منا سواء من خلال مراحل التنشئة المختلفة التي يمر بها، أو حياته المجتمعية، عبر قنوات الاتصال بكل أشكالها، ماهي إلا قيم معيارية تحدد السلوك في الإطار المجتمعي ، ونحن في علم الاجتماع لا تخرج موضوعاتنا عن المجال القيمي، فالسلوك الاجتماعي هو سلوك لا يتحرر من القيمة ، وقد أشار العديد من علماء الاجتماع في كتاباتهم حول أهمية القيم كقوة داعمة للبناء الاجتماعي تضمن له البقاء والاستمرار، وتنتئ به عن الانحراف أو كما يعبر عن ذلك عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم باللامعيارية أو الأنومي (anomie) وهي أزمة اخلاقية يتعرض لها المجتمع عندما تنهار منظومة القيم مخلفة فوضىة اخلاقية "ويشير انتوني غدنز في معنى القيم بقوله" ما هو محبذ ومرغوب فيه، وهي تضي معنى محددًا وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي. في حين أن تجسيد هذه القيم في ثقافة ما يأخذ شكل قواعد معيارية للسلوك، وتعمل القيم والمعايير سويًا على تشكيل الاسلوب الذي يتصرف به أفراد ثقافة ما إزاء ما يحيط بهم¹ وحيث أن القيم هي محددات للسلوك فهي ذات تكوين مزدوج . ولتفسير ذلك نقول أن القيم هي في الأصل غايات أو مثل يحاول كل منا التطابق معها ، وهي من جهة أخرى متجسدة في سلوكنا الفعلي من خلال ما نسبغه على تصرفاتنا من معايير أو ضوابط تتفق وهذه القيم فهي إي القيمة "تندرج في الواقع بطريقة مزدوجة: إنها تبدو كمثال يستدعي انتماء أو يدعو إلى الاحترام، كما أنها تظهر في الأشياء والتصرفات التي تعبر عنها بطريقة محسوسة أو أكثر تحديدا بطريقة رمزية"²

¹ أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال ، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم : فايز الصباغ ، ط 4 ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص82 - 83 .

² غي روشي: مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، ترجمة مصطفى دندشيلي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1983، ص 89.

إن انتظام الحياة في المجتمع، وانصهارها في وحدة كلية، هي في حقيقة الامر نتاج لقوة أمره أو ملزمة هي قوة القيم والمعايير ، والذي يؤدي الخلل فيها إلى انحراف عن السلوك المقبول اجتماعيا، الأمر الذي يترتب عليه تصدع البناء الاجتماعي وربما انهياره وعلى هذا يمكن القول بأن القيم في الموسوعات والقواميس تعكس ما يلي :-

- القيم مفهوم مجرد.
- تشير إلى ما هو مرغوب فيه أو الحسن أو ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني.
- ترتبط القيم بالبناء الداخلي للكائن البشري.
- وهى عملية تقديرية يقوم بها الإنسان لإشباع حاجاته ورغباته.
- ترتبط القيم بالفعل، ومن ثم تكون القيم معياراً لسلوك الأفراد.¹

والعلاقة بين الفرد والمجتمع تحددها الثقافة السائدة التي بدورها تعكس نظاما اخلاقيا يعمل من ناحية على ربط الافراد بمجتمعهم، ومن ناحية اخرى على تماسك الجماعة ، فروح المجتمع هو كما يعبر عنه دور كايم بالضمير الجمعي ، فكيان المجتمع ليس هو تجسيديات لكيانات فردية بل هو كيان جمعي يتولد من تماسك هذه الكيانات الفردية وخضوعها لقوة خارجة عنها هي قوة المعايير، إذا المعايير المعبرة عن قيم المجتمع هي التي تلزم الأفراد على أن يكون سلوكهم ضمن إطار الجماعة، وأن الخروج عنها هو انحراف عن المعايير النازمة لسلوك الجماعة.

ومن واقع اهمية الفكر ،فإن القيم تعلي من شأن الثروة البشرية، باعتبار المنظومة الاخلاقية جوهر الكرامة الانسانية، وبالنظر لوظائف القيم يمكن توضيح هذه الاهمية

في النقاط التالية:

1- أنها توفر الوسائل المطلوبة التي تساعد الفرد على معرفة موقعة في المجتمع على أساس تقويم الناس له.

¹نبيل توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة علم الاجتماع الإسلامي، دار الشروق، جدة، 1985م، ص213

2- أن جميع الأساليب المثالية للسلوك والتفكير في المجتمع تتجسد في القيم، وعلى هذا الأساس تصبح القيم أشبه بالخطط الهندسية للسلوك المقبول اجتماعياً، بحيث يصبح الأفراد قادرين على إدراك أفضل الطرق للعمل والتفكير.

3- تسهم القيم في توجيه الناس في اختيار الأدوار الاجتماعية والنهوض بها، كما تشجعهم على القيام بالأعباء المسندة إليهم بشكل ينسجم وتوقعات المجتمع.

4- للقيم دور كبير في تحقيق الضبط الاجتماعي، فهي تؤثر في الناس لكي يجعلوا سلوكهم مطابقاً للقواعد الأخلاقية، كما تعمل القيم على كبح جماح العواطف السلبية التي قد تدفع إلى الانحراف والتمرد على نظم المجتمع الأخلاقية وتولد الشعور بالذنب والخجل في نفوس الناس عند تجاوزهم المعايير.

6- للقيم تأثير واضح كأداة للتضامن الاجتماعي، فوحدة الجماعات تستند إلى وجود القيم المشتركة، مما يجعل الناس ينجذبون لبعضهم عندما يشعرون بتمائل الأخلاق والعقائد التي يعترفون¹

القيم و التعليم الجامعي

إن كلمة القيمة بمعنى *valus* مشتقة من الفعل اللاتيني *valeur* "أنا قوى أو بصحة جيدة" وهذا يعني أن القيمة تحتوي على معنى الصلابة والمقاومة وبالتالي أخذت القيمة معاني متعددة في اللغة: و هي الاستقامة، القيام بالشيء، الاعتدال، الاستواء، الاستقلال²

"والقيم في قاموس علم الاجتماع تعنى أي موضوع أو حاجة أو اتجاه أو رغبة، ويستخدم المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة أخرى"³

¹ قيس النوري، الحضارة والشخصية، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1981م، ص69-70

² علي أحمد الجمل، القيم و مناهج التاريخ الإسلامي، دراسة تربوية، عالم الكتب، القاهرة، 1996م، ص 17- 18

³ عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص505.

إن المرجعية السوسولوجية تنطلق من اعتبار التنشئة الاجتماعية Socialization هي المحدد الأساسي في اكتساب القيم ويقصد بها " عملية التشكيل التي يمر بها الفرد خلال حياته"¹ وذلك لأن المجتمع من خلال مؤسساته المختلفة وخاصة الأسرة تعمل مجتمعة على ادخال النسق القيمي في الشخصية ، فالعلاقة تكاملية بين التنشئة كأداة أو وسط اجتماعي وبين الشخصية كذات فردية ،ومن هذه العلاقة فإن الشخصية Personality باعتبارها "النسق المنظم للسلوك، والاتجاهات ، والمعتقدات ، والقيم ، وغيرها من السمات والخصائص التي تميز الفرد."² فإن القيم التي تقبلها الجماعة المعينة والاهداف التي توضحها لأعضائها والادوار الاجتماعية التي تضعها لهم والمعاني المشتركة فيها ، هي بعض محددات الشخصية لأعضاء هذه الجماعة

3»

ويوضح تيرنر J.H. Turner هذه العلاقة بين المجتمع ومكونات الشخصية بطريقة أكثر شمولاً. " فيذكر أن الشخصية هي نتاج التفاعل داخل الوحدات الاجتماعية المختلفة التي توجد داخل المجتمع مثل الأسرة ، الجيرة ، جماعات العمل ... وغيرها"⁴ وبالنظر إلى السياقات العلمية التي تضم في محتواها هذه القضايا الاخلاقية، فإننا نجد بعض التخصصات المتضمنة لهذه القضايا، ولذلك فقد وضع الباحثون عدداً من الصفات والسمات المشتركة كما يلي:

1- القيم أساسية في حياة كل إنسان سوي، فهي بمثابة مرشد وموجه لكثير من النشاط الحر الإرادي للإنسان.

2- القيم تصطبغ بالصبغة الاجتماعي، فهي تنطلق من إطار اجتماعي.

3- القيم مكتسبة، إذ يتعلمها الفرد عن طريق التربية الاجتماعية والتنشئة في نطاق الجماعة.

¹ محمد طلعت عيسى ، مدخل إلى علم الاجتماع ، دار المعارف ، لبنان ، ط 1 ، 1975م، ص105

² طلعت ابراهيم لطفي ، مدخل الى علم الاجتماع ، دار غريب للطباعة و للنشر ، القاهرة ، ط2 ، 1993م، ص124،125

³ طلعت ابراهيم لطفي، المرجع السابق، ص 130

⁴ طلعت ابراهيم لطفي، المرجع السابق، ص 132

4- تُعد القيم ذاتية اجتماعية، ولها أثر بارز في السلوك العام والخاص للفرد والجماعة، وفي تحديد كثير من العلاقات مع بعض أفراد الجماعات الأخرى.

5- القيم ذات ثبات واستقرار نفسي واجتماعي نسبي، لكن هذا الثبات يسمح بالتغيير والتبديل بإرادة الفرد.

6- يتميز بعض الأفراد بقيم فردية خاصة هيمنت على جل وقتهم ونشاطاتهم، ودوافعهم وسلوكهم، وقد كان من هؤلاء الأفراد نوابغ العلماء، والمفكرون والمخترعون، والفنانون، والقادة العسكريون، الذين استفادت منهم المجتمعات الإنسانية في شتى المجالات¹ ونحن في هذا الصدد نشير إلى علم الاجتماع باعتباره المجال، الذي تمثل فيه القيمة الموضوع السسيودينامي، ويتناول العلماء فيه النسق القيمي كجوهر للنظام، وكموجه للسلوك، ويمثل الفعل فيه سلوك دي قيمة، لا بد من اثره بالمعنى والقصد، فعلم الاجتماع الديني والثقافي وعلم اجتماع القيم وعلم اجتماع المعرفة،... تنثري العلم والحياة، فهو مجال خصب لجوانب الفعل الاجتماعي ومظاهره، التي يجب أن يستفاد منها في التخطيط للسمو والارتقاء بالمنظومة القيمية للشباب الجامعي.

وهي- أي القيم- في تحديدها لمقومات الشخصية، وبالنظر إلى وظائفها، فهي تمد جسور لعلاقات متنوعة تؤثر في الشخصية، وتعمل من خلال الاستجابات على تحديد السلوك الصادر بما يتوافق مع الشخصية والمجتمع في اطار المعايير. والسؤال الذي يطرح نفسه هل الشباب الجامعي يحمل قيم تتوافق مع المرحلة الزمنية والحضارية، وهل ما يحمله من قيم يتفق مع تراثه الديني باعتباره من اهم مصادر القيم، وما الذي قد يساعد الشباب الجامعي في صقل القيم المعرفية والمهارية التي تؤهله للقيام بمسؤولياته الاكاديمية فيما بعد، وهل يجد القدوة القيمية في عضو التدريس. كل هذه الاسئلة هي ما يجب أن يثار حول موقع القيم في التعليم الجامعي

فالتعليم الجامعي هو مرحلة النضج المعرفي والانفعالي، والاستقلال الشخصي، وحرى بالمؤسسة التعليمية الجامعية أن تعد هذا العضو لأن يكون فاعلا في المجتمع، والفاعلية تنطلق من كونه شخص يتم اعداده لممارسة مهنة تعكس ما اكتسبه من قيم، وعادة ما نجد التعليم الجامعي لا يعي أهمية هذه المسألة، وهي مسألة خطيرة المهمة التربوية في دورها العظيم في

¹ عبد الحميد محمد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، جدة: دار الشرق، ص142-143

غرس القيم الفاضلة التي تستقى من الدين ومن مكارم الاخلاق، والفطرة السليمة، ولا يختلف اثنان على ان الفطرة السليمة مبنية على الفضائل ، والفطرة هي علاقة روحية بجوهر الخلق، والدين هو مصدر هذه الفضائل ، وعلى ذلك فان القيم الأخلاقية من المنظور الاسلامي هي "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الانسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على اكمل وجه"¹ فاللدين تأثيره في نسق القيمة سواء على مستوى أدراك القيمة أو الفعل الناتج، ولقد عبر عن وجهة النظر هذه كل من K.Davis و W.Moore بقولهما "لعل سبب ضرورة الدين يبدو واضحا في حقيقة أن المجتمع الإنساني تتحقق وحدته أساسا من خلال اقتناء اعضاءه لبعض القيم المطلقة والغايات العامة"²

فالقيم والغايات العامة التي يعتنقها الافراد المنتمين لدين واحد، والتي يتم التعبير عنها في شكل معتقدات وطقوس، تعمل على ممارسة نوع قويا من الضبط على سلوك الافراد بما يتسق والقيم المطلقة التي تحافظ على التماسك الاجتماعي، وتبتعد به عن عوامل الانهيار، فالأخلاق مستمدة من الاخلاق الاسلامية الخاصة بالشخص والمجتمع .

ولأن الدين مطلب فطري، فهو يخترق النظم الاجتماعية كافة، ويؤثر في القيم والاخلاق والعادات والتقاليد والآداب، ولأنه يلبي حاجة الانسان الفطرية للاعتقاد، ولحاجته للضبط الاجتماعي الذي يضمن التماسك والاستقرار، فهو في تكريمه للإنسان بالأخلاق الحميدة، يرتفع به عن الفساد الاخلاقي ، من هنا كان النظام التعليمي انعكاسا للقيم الدينية ، من منطلق العلاقة بين القيم والاعتقاد والواقع الاجتماعي، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية تكاملية، ولأن الانسان كائن بالفطرة فإن اعماله لابد أن تحمل قيمة اخلاقية، لأن الانسان وحده القادر على تحديد أخلاق سلوكه بما هي ايجابية أو سلبية.

¹ عبد الله ابراهيم الطريقي وآخرون، الثقافة الاسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا، ط1، 1417هـ

² محمد أحمد محمد بيومي ، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، جامعة الاسكندرية، ب ط ، 1981م، ص 131

إن كل الآداب والأخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة اجتماعية واضحة، وإن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس مبادئ العدل والمساواة والحق التي جاء بها الإسلام.

وإن القرآن يفتح الدعوة إلى العلم بمثل قوله "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"¹ وقوله "قل انظروا ماذا في السموات و الأرض"²

والذي حدث أنه مع تغير المجتمعات، أصبحت المنظومة الاخلاقية تحتاج إلى إعادة نظر ، فقديمًا كان الاصل في التعليم الجامعي هي المرجعية الدينية ، ولذلك كانت الاهداف تتجه نحو اعداد شريحة متعلمة تحمل منظومة قيمية أصيلة، ذات مرجعة دينية وانسانية ، ولكن مع تطور الجامعات ، وزيادة تخصصاتها، وبرامجها الاكاديمية ، أدى ذلك إلى تراجع في الاهتمام بالجانب القيمي والاخلاقي للطلبة، فالجانب الاكاديمي تطور على حساب الجانب التربوي

والجانب التربوي نتصوره في موقف أعضاء هيئة التدريس من القضايا القيمية، واهتمامهم بها في مناقشاتهم ، وتوجيهاتهم ، وثقتهم انها ستؤتي ثمارها في شريحة متعلمة، مبدعة ، قادرة على التفاعل البناء والخلاق، المرتكز على عقلية أخلاقية .

ومن جوانب الاهتمام ايضا خلق مناخ اخلاقي يساعد على الشعور بالثقة ويعزز القدرة على الابداع ، من خلال وجود علاقات انسانية واخلاقية تسود الجامعة، وهي العلاقات المتكاملة بين ادارات الجامعة واعضاء التدريس والطلبة.

وحيث أن قيم الطالب الجامعي قد تم بلورتها في مراحل سابقة فإن مرحلة الجامعة لابد ان تصقل تلك القيم وتنميتها وتعمل على ترسيخها، إضافة إلى أن هذه المرحلة هي مرحلة الاستقلال الفكري ، والشعور بالقدرة على اتخاذ القرارات ومسؤوليته عليها، فهي إذا مرحلة تكوين الاتجاهات والانفتاح الحر على الحياة ، الذي قد يضعه في موقع التأثير وأيضاً التأثير، من خلال ما قد يصيب منظومته القيمية من تغيرات تؤدي في الكثير من الاحيان إلى بلورة شخصيته بطريقة مختلفة، وهذا ما يجعله عرضة لتأثير التوجهات المختلفة "بل إن عدداً من الدراسات أكدت أن

¹ سورة العنكبوت، آية 20

² سورة يونس آية 101

معظم التغيير في القيم يحدث في نهاية المرحلة الثانوية وأوائل المرحلة الجامعية رغم أن هذا التغيير يمتد حتى المراحل المتأخرة من العمر¹

وللارتقاء بالمنظومة القيمية للطالب الجامعي، وبلورتها بكيفية تعكس تداعيات ايجابية في مستقبل حياته العلمية والمجتمعية، لا بد من الاهتمام بداية بالكيفية، أي كيف ندخل قيم تترسخ في وجدانه وتتعكس في سلوكه، وهي مهمة تقع على عاتق اعضاء التدريس من خلال بعدين أساسيين هما:

اولا تضمين المادة العلمية لتوجيهات قيمة تؤدي دور فاعل في شخصية المتعلم

ثانيا لا بد أن يكون المربي على دراية بفاعلية دوره كقدوة حسنة للطلاب، قادر على التأثير فيهم من خلال مقومات شخصيته وما يحمله من قيم

إذا عبء هذه المسؤولية يجب أن يتحمله من يقود هذه العملية التربوية، فالعملية التربوية ليست عملية اتوماتيكية مقتصرة على مناهج اكااديمية مقررة تعكس جمود المحتوى، وبالتالي جمود الفكر، إن قيم الابداع والتحرر العقلي والانفعالي هي طاقات لا بد من رعايتها، عبر استماجها في نسق شخصيات طلابنا، فالأمم ترتقي بأخلاقها .

¹ عبد اللطيف خلفية، أرتقاء القيم، دراسة نفسية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 1993م، ص